

رسالة علماء وأساتذة الحوزات العلمية الشيعية والسنية في إيران إلى الأزهر الشريف في مصر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة و السلام على سيدنا محمد و آله الطاهرين و صحبه المنتجبين

إلى حضرة فضيلة الشيخ أحمد الطيب، الإمام الأكبر لجامع الأزهر الشريف، وكافة العلماء الكرام في هذا
المجمع العلمي العريق،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

إن الأزهر الشريف، بوصفه أحد أبرز المراكز العلمية في العالم الإسلامي، كان في عصره الذهبي تحت
إمامة فضيلة الشيخ محمود شلتوت (رحمه الله)، الذي أصدر فتواه التاريخية بالاعتراف بالمذهب الجعفري
الشيعي إلى جانب المذاهب الأربعة لأهل السنة، وقد اتخذ خطوات جسيمة في سبيل تقريب المذاهب وتحقيق
وحدة الأمة الإسلامية، ليكون نموذجاً ملهماً للعقلانية والعدالة والسعي من أجل تماسك الأمة الإسلامية.

نحن، العلماء والأساتذة في الحوزات العلمية الإيرانية (سنة وشيعة على حد سواء)، ونحن نحترم هذا الإرث الثمين، لقد اطلعنا على البيان الأخير الصادر عن الأزهر، والذي استخدم فيه تعبيرات مثل «التجاوز غير المبرر من قبل الجمهورية الإسلامية الإيرانية» و«البغى» لوصف الإجراءات الدفاعية لإيران. وقد أثارت هذه الصياغة تأسفنا وقلقنا شديداً، إذ كنا دوماً نعتبر الأزهر مركزاً علمياً رئيسياً للأمة الإسلامية.

من الناحية الفقهية، فإن إطلاق وصف «البغى» على إجراءات دولة إسلامية تتصرف بصفة الدفاع المشروع عن سيادتها وسلامتها الإقليمية ومصالحتها الحيوية في وجه الاعتداءات الخارجية، لا يتوافق مع طبيعة التصرف الإيراني في دفع المعتدى. كما أن تهميش وصف البغى لإيران يُعد نوعاً من التهديد الضمني بالقتال ضدها. لقد أمر القرآن الكريم صراحةً بالدفاع المشروع، بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، وقوله أيضاً: ﴿أُذِّنُ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِلَاءَ اللَّهِ أَنْ يُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَالِي نَهْرِهِمْ لَقَدْ يُرِى﴾ [الحج: 39].

وكما هو معلوم، فقد تعاونت بعض الدول العربية في المنطقة، للأسف، بشكل واسع مع الولايات المتحدة والنظام الصهيوني من النواحي اللوجستية والمالية والاستخباراتية، من خلال استضافتها للقواعد العسكرية الأمريكية على أراضيها. فكيف يمكن للعدو أن يرتكب مثل هذه الجرائم لولا توفير هذه القواعد له؟ علاوة على ذلك، فإن الهجمات الجوية والبرية التي شنتها هذه الدول العربية على مدن إيران ومؤسساتها قد سبقت أي إجراء تدافعي من جانب إيران. فكيف يتغاضى الأزهر عن هذه السوابق، ويكتفى بتسمية الإجراءات الدفاعية الإيرانية بـ«التجاوز» و«البغى»؟ إن هذا الموقف الأحادي يتعارض مع قواعد القضاء العادل ومع مبدأ الدفاع المشروع المستند إلى الآية الكريمة: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَايَكُمْ فَعَايَتْكُمْ وَأَعْلَايَكُمْ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَايَكُمْ﴾.

إن بيان الأزهر يشير إلى الهجمات التي استهدفت المدنيين والمرافق الاقتصادية لبعض الدول الإقليمية التي تعاونت مع أمريكا والنظام الصهيوني في الاعتداء على إيران، في حين أن إجراءات إيران كانت موجّهة حصراً نحو القواعد العسكرية المعادية المرتبطة بالمعتدين. والأكثر أسفاً هو صمت الأزهر التام إزاء الفظائع المروعة للهجمات الأمريكية من البر والجو والبحر، انطلاقاً من أراضي الدول المجاورة ضد إيران. ألا كان بمقدور الأزهر في مصر، أن يرسل رسالة أو يصدر بياناً، أو يرسل وفداً نيابة عنه إلى مدينة ميناب، ليشرك آباء وأمهات تلاميذ المدرسة الشجرية الطيبة (الذين بلغ عددهم 168 طفلاً، ذكوراً وإناثاً) في غمهم، وليقوم، مثلما فعلت وفود العلماء من الشيعة والسنة الذين

زاروا ميناب، بواجب التعزية الإسلامية للعائلات المصابة؟ وللأسف، فإن هذا التباين فى المواقف يثير الشكوك حول هيمنة القومية الضيقة أو الضغوط السياسية للحكومة المصرية على المؤسسة العلمية للأزهر، مما يزعزع مكانته التقريرية.

يطلب الأزهر من إيران احترام السيادة، والحسن الجوار، والقوانين الدولية، لكنه يصمت إزاء الاعتداءات الواسعة للنظام الصهيونى، وإنشاء القواعد الأمريكية فى الأراضى العربية، والهجمات المتكررة من الأراضى والجو العربى ضد إيران الإسلامية. فى المقابل، دعا البابا ليون الرابع عشر خلال الأسابيع الماضية مراراً إلى رفض اعتداءات أمريكا وإسرائيل وإلى السلام. فكيف للأزهر، الذى يدعى العقلانية ولديه سجل واضح فى تقريب المذاهب، ألا يصدر كلمة تدين أمريكا والنظام الصهيونى وتدين تعاون الدول العربية مع إيران؟ هل الأخبار الموجهة والضغوط السياسية قد عميت بهذين المركزين عن مطلومية الشعب الإيرانى، والإجراءات الشجاعة لإيران ضد مخططات التوسع للنظام الصهيونى؟

أيها العلماء الكرام فى الأزهر الشريف؛ يجب أن نقول باحترام إن مثل هذه التصريحات قد تهيئ الفرصة للأعداء المشتركين للعالم الإسلامى للاستفادة منها، وهو ما يجب على المراكز العلمية الحذرة أن تتنبه له جيداً حتى لا تعطوا العدو ذريعة.

كما نحذر من أن مثل هذه المواقف قد تشجع على عدم مسؤولية بعض الدول العربية فيما يتعلق بأفعالها العدائية من أراضيها، مما يهدد وحدة الأمة أكثر من أى وقت مضى.

نحن الموقعون على هذا الخطاب، وفى ظل دعوتنا للأزهر لإجراء بحث مستقل، وإعادة النظر فقهيّاً وقانونياً، والحوار المباشر بين المراكز العلمية، نؤكد على ضرورة تعزيز العلاقات السليمة وتصحيح المواقف المعلنة استناداً إلى الإنصاف والعدالة، ونعلن استعدادنا لأى مناظرة فقهية وعلمية مع أساتذة بارزين من الأزهر.

فى الختام، نسأل الله العظيم أن يهدى قلوب المؤمنين نحو الحق والعدل، وأن يقوى وحدة الأمة الإسلامية، ويجفف جذور الفتنة والعدوان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.